في المنطقة خلال السنوات العشر الماضية، وفي الوقت عينه تعزيز مكتسبات الوفاق الجديد، بما يقطع الطريق على التراجع الاميركي.

على هذا الصعيد، كشفت مصادر دبلوماسية مضمون توجهات القيادة السوفياتية في ما يتعلق بتحركاتها السياسية والدبلوماسية في المرحلة المقبلة. فهي، أولاً، باتت تشعر بتفاؤل أكبر منذ تسلّم جورج بوش الرئاسة في الولايات المتحدة؛ وهي، ثانياً، تنوي متابعة الحوار والتنسيق والتعاون معه، من اجل تأمين عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الاوسط، وفي أقرب فرصة ممكنة، تشارك فيه الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن، والاطراف المتنازعة، بما فيها م.ت.ف. وهي، اخيراً، تنوي متابعة اتصالاتها مع الحكومة الاسرائيلية، لأنها تعتبر أن ذلك أمر مفيد، خاصة وان موسكو تنوي، في اطار هذه الاتصالات، العمل على محاولة تغيير الموقف الاسرائيلي من المؤتمر الدولي، ومن دور م.ت.ف. في عملية السلام (**القبس**، الكويت، ٢٥/١/١٩٨٩).

وحيث ان معظم هذه الاحداث له بُعد مستقبلي، فان انتظامه في سيناريو واحد سيساعد على فهم علاقاته المتداخلة. ولعلّ ما يجدر التذكير به، ان موسكو بنت تحرّكها الدبلوماسي على أساس المتغيرات الفلسطينية، وتتطلع الى متغيرات اسرائيلية موازية لها. ومع ان موسكو وتل ـ أبيب تفضّلان اجراء الاتصالات السياسية فيما بينهما في عواصم اخرى، فان قناة الحوار فيما بينهما باتت مفتوحة على مصراعيها؛ كما بات مفهوماً ان السوفيات مستعدون للاجابة عن كل خطوة اسرائيلية بأكثر من خطوة على طريق تطبيع العلاقات.

لقاء وزير الخارجية السوفياتية، شيفاردنادزه، ووزير الخارجية الاسرائيلية، موشي ارنس، في باريس، مطلع العام الجاري، كان مناسبة احتفالية لأن يشدد الجانب السوفياتي على عدد من النقاط الاساسية، منها ان أي محاولة لتسوية النزاع العربي ـ الاسرائيلي والفلسطيني ـ الاسرائيلي بالقوة ليست في صالح اسرائيل، بل ان السلام الدائم والشامل هو الضمان الوحيد لأمن اسرائيل ولاستمرار وجودها في المنطقة؛ كما انه لا يمكن اجراء أية مفاوضات سلام لحل المشكلة الفلسطينية، اذا لم تشارك فيها مباشرة م.ت.ف. وفي هذا النطاق، أكد الوزير السوفياتي ان هذا الامر لم يعد مطلباً عربياً فحسب، بل بات مطلباً دولياً أيضاً؛ ثم ان المؤتمر الدولي هو الاطار الوحيد المقبول لحل النزاع في المنطقة بصورة شاملة ودائمة. وقد سجّل شيفاردنادزه، من خلال ما ذكره ارنس، ملاحظة أساسية، وهي ان الموقف الاسرائيلي لم يتغير اطلاقاً، سواء لجهة المؤتمر الدولي أم لجهة م.ت.ف. (**المصدر نفسه**).

قد لا تكون هناك أفكار جديدة في جعبة موسكو؛ انما لديها، بالتأكيد، لهجة وأسلوب جديدان ازاء اسرائيل، بشأن تطبيع العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين. في هذا الاطار، اعتبر الاكاديمي السوفياتي، فلاديمير نوسنكو، ان عدم وجود علاقات بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي امر غير طبيعي. واسترجع تأثير اقدام موسكو على قطع علاقاتها مع اسرائيل في العام ١٩٦٧ على الوضع في الشرق الاوسط قائلاً «ان هذه الخطوة لم تؤد الى نتائج تتوافق مع احد أهم الاهداف في سياسة الاتحاد السوفياتي الشرق أوسطية، وهي العمل على اقامة سلام عادل في المنطقة». وانتقل نوسنكو، فوراً، الى القول: «في ذلك الوقت، أظهر الاتحاد السوفياتي تضامنه مع الدول العربية؛ لكنه كان في استطاعته، كما يظهر، تقديم مساعدات أكبر لحل مشاكلها المحلية ـ منها تصفية آثار العدوان ـ ، وذلك لو بقيت هناك قناة للمحادثات السياسية مع اسرائيل من التسوية، على سبيل المثال، في هذه الظروف الدرامية». ثم أسف لاستمرار وقف العلاقات، «فليس هناك أية أسباب موضوعية لمثل هذا الوضع غير الطبيعي» (**السفير**، بيروت، ١/٢/١٩٨٩).

ولم يُبدِ نوسنكو شكاً في «ان مبادىء التفكير السياسي الجديد تقوم على ان العلاقات بين الدول يجب ان تعلو فوق الخلافات الايديولوجية؛ ويجب ان لا تكون معتمدة عليها». ولمّا كانت الصهيونية، كايديولوجية بورجوازية قومية، تكن عداء كبيراً للماركسية، فان «الخلاف [فيما] بينهما هو خلاف مبدئي». ومع ذلك، اضاف نوسنكو: «يجب التأكيد ان نظرتنا العلمية في تقييم الصهيونية لم تكن دقيقة دوماً، خلال السنوات العشر الماضية؛ فعندما كنّا نركّز اهتمامنا على التقييم العام للحركة، كنّا لا